

بحوث في الأدب المقارن

فصلية علمية - محكمة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة رازي - کرمانشاه

السنة الرابعة، العدد ١٦، شتاء ١٣٩٣ هـ.ش / ١٤٣٦ هـ.ق / ٢٠١٢ م، صص ٤٥ - ٦٢

محمد الماغوط واحمد شاملو في جدلية العاطفة والفكرة^١

مهدي خرّمي^٢

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها، بجامعة الحكيم السبزواري، ايران

مهدي نودهي^٣

طالب الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها، بجامعة الحكيم السبزواري، ايران

الملخص

محمد الماغوط شاعر سوريّ معاصر، كاتب سيناريو، مسلسلات تلفزيونيّة، ومن رواد قصيدة النثر له دور كبير في تطوّر الادب العربيّ عامّة والادب السّوريّ خاصّة. وذلك يأتي انطلاقاً من تمّردّه على القالب الكلاسيكيّ للوصول إلى قالب شعريّ يوافق ذهنيّة الانسان المعاصر ومقابل ذلك في الفارسي، عندنا احمد شاملو، يعتبر شاعرا معاصرا و من رواد قصيدة النثر، قد عمل في مختلف المجالات الادبيّة من بينها النّثر والصّحافة والسّناريو والمسلسلات التلفزيونيّة و ما إلى ذلك، و بفارق قليل بالنسبة لمحمد الماغوط استطاع بتمّردّه على القالب الكلاسيكيّ أن يخلق فنّاً في الادب الفارسيّ حيث جعل الشّاعر حرّاً في اختيار الالفاظ والقوافي. تهدف هذه المقالة إلى كشف الغطاء عن تجربة الشّاعرين الشّعريّة اعتماداً على المقارنة الادبيّة بين تجربته الشّعريّة في البعد النّظريّ وانطلاقاً منه إلى تلمّس فكرة معيّنة تجعل المخاطب يتعرّف على ماهيّة المكونات الادبيّة في نصّهما الشّعري ولاسيما الفكرة والعاطفة. هذا من جانب لكن من جانب آخر تركّز على جدليّة العاطفة والفكرة نيلاً منها إلى الكشف عن مدى تأثر الشّاعرين بهما في قوتها الابداعيّة. لكن منهجنا في هذا البحث بنى على المذهب الامريكيّ و الذي يتجاوز بالدراسة عن قضايا «كالتأثير والتأثر» و «الخلاف اللغوي».

الكلمات الدلّيلية: الادب المقارن، محمد الماغوط، احمد شاملو، العاطفة، الفكرة.

^١ - تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٩/٢٧ تاريخ القبول: ١٣٩٣/١٢/٥

^٢ - العنوان الإلكتروني للكاتب المسؤول: khorrami.dr@gmail.com

^٣ - العنوان الإلكتروني: mehdinowdehi@Gmail.com

١. المقدّمة

الأدب بوصفه عنصراً أمّا من العناصر الثّقافيّة يعتبر مرآة صافية تتجلّى فيها الكثير من القضايا الانسانيّة، منها مثلاً القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة وغيرها الذي يشكّل هيكل الانسان الوجوديّ بشكل عام. و من جهة أخرى يعتبر أداة للتعبير عمّا يختلج في ذهنيّة الانسان من شعور بالغربة أو الحنين إلى الوطن والحقيقة وغيرهما حيث تجعله _ باعتماده على الشعر مثلاً _ بعيداً عن الضغوط و التبعثرات الذهنيّة. يعتقد الكثير من المُنظّرِين أن الادب يتألّف من اربعة محاور منها مثلاً «العاطفة والفكرة والخيال والأسلوب» (فتوح، ١٣٨٠: ١٨٩ - ١٩٠). و«لعل العاطفة أقوى العوامل اتصلاً بالأدب وبسائر الفنون الجميلة و أوضح أثراً في التّفنن. فهي الطّابع الذي يميز الفنون و هي الجوّ الصّافي الذي فيه تسبح و ترتوي...» (عبدالحميد، ١٩٤٣: ٢٠) و الذي يأتي بعدها هو الفكرة وهي التي لها دور محوري في تكوين بناء النّساج الفنّي. بشكل عام «الفكرة تعني الفهم و الادراك لما يكون بيننا» (برويني، ١٣٩١: ٦). يعتبر الخيال عنصراً أساسياً آخر من هيكل الادب وذلك «نتيجة نوع من التّجربة الشّعوريّة تنطبق عليها أرضية عاطفيّة» (كدكني، ١٣٨٨: ١٠٨). العنصر الأخير للادب هو ما يسمّى بالاسلوب و من وظيفته تقويم الهندسة الادبيّة. في الواقع «إنّ الاسلوب في المجال الادبي طريقة يستعين بها الشّاعر للتعبير عن الفكرة على أساس اختيار الالفاظ و التراكيب و غيرها» (كرمي، ١٣٨٩: ٨٠). نظراً إلى أن الدّراسة تتمحور حول «العاطفة» و «الفكرة» فيجري تطبيق الامر عليهما في هذا السّياق. يعتبر محمّد الماغوط و احمد شاملو من الشّعراء الذين كان لهم يد طولى في توجيه الادب نحو الرقيّ و التطوّر و ذلك لم يحدث إلا من خلال تمرّد هما الصّوريّ على القالب الكلاسيكيّ و انطلاقاً منه إلى تجربة شعريّة رائعة انطلقت منها ما يسمّى بقصيدة النثر. نظراً إلى أن الشّعاعرين قدجرّبوا ظروف مأساويّة في حياتهما نتججه تلمس السّلبات السياسيّة والاجتماعيّة بالطّبع ينفعنا كثيراً أن نتناولهما بالدّراسة عاطفيّاً وفكريّاً. و سؤال البحث هو أنّه ما هي وظيفة الفكرة و العاطفة في تجربة الماغوط و شاملو الشعريّة؟

١-١. خلفيّة البحث

بالنسبة لخلفيّة البحث يمكن القول بأنّه يعتبر محمّد الماغوط و احمد شاملو من الشّعراء الذين قد تطرّق اليهما الكثير من الأساتذة و غيرهم بالدّراسة حيث تتجاوز هذه الدّراسات عن مجال الاعتبار والاحصاء. ففي مجال الكتب هناك ما يسمي ب"شاملو و عالم المعني (لبقائي ماكان: ١٣٨٦)، و من ميزات هذا الكتاب أنه ركّز على القضايا التّجريدية فقط. فيما يتعلّق بالمقالة أيضاً هناك مقالات ترتبط بهذا الموضوع كـ «قصيدة النثر عند محمّد الماغوط و احمد شاملو» (كنجيان خناري: ١٤٣٢). و الّا أنّها قد تطرّقت إلى قصيدة نفسها، بعيدة عن الجذور الفكريّة و العاطفيّة. و كذلك هناك مقالات ذات صلة بهذا البحث مثل «تجليات الاجتماعية في أشعار احمد شاملو و محمّد الماغوط» ممّا يتطرّق فيها الكاتب إلى الارضيّة الاجتماعية المهيمنة على نصّهما الشعري دون إلقاء الضّوء على مكوّناتهما الادبيّة كالفكرة و العاطفة. و من بينها ايضاً مقالة تحت عنوان «تجليات المقاومة في أشعار محمّد الماغوط» و من خلالها يتحدّث الكاتب عن المقاومة و تجلياتها فقط. يختلف الادباء في تحديد ميلاد الشاعر و الكاتب السّوريّ محمّد الماغوط. لكن اغلب الظّن أنّه ولد عام ١٩٣٤ في مدينة السّلمية؛ محافظة حماة في سوريا؛ من عائلة فقيرة و رحل عام ٢٠٠٦ م. تعلّم في المدرسة الابتدائية في السّلمية ثمّ المدرسة الزراعيّة في السّلمية من غير أن ينهي تعليمه. فعادر مجال التّعليم و الدّراسة اعتماداً على نفسه فيها واستقى معرفته للآداب الغربيّة من الترجمات العربيّة لها أنظر: (اليسوعي، ١٩٩٦: ١١٥٩). بدأت حياة الماغوط السياسيّة بعد أن التحق بالحزب السّوري

القوميّ نتيجة الفقر. يجب نفسه عن سؤال طرحه خليل صويلح عن سبب اتّجاهه إلى السّياسة قائلاً: «ربّما كان الفقر في ذلك، فبالنسبة لفتى يافع وفقير مثلي... وكان هناك حزبان... هما حزب البعث والحزب السّوري القوميّ وفي طريقي للانتساب إلى أحدهما، اتّضح لي أن أحدهما بعيد عن الحرارة ولا يوجد في مقرّه مدفأة... اخترت الثّاني دون تردّد، لأنّه قريب من حارتنا وفي مقرّه مدفأة ولم أقرأ بصراحة صفحتين من مبادئ... لم أحضر لها اجتماعاً...» (صويلح، ٢٠٠٢: ١٤). «ولد أحمد شاملو (١٣٧٩-١٣٠٤) «الف- صبح، الف- بامداد» في شارع صفي عليشاه بطهران. بعد ذلك بقليل انتقلت أسرته إلى مناطق منها رشت، و سميرم، واصبهان، وآباد، وشيراز. وبما أن أبا الأسرة كان بطبيعة شغله مضطراً إلى الانتقال والتروّح من مدينة إلى أخرى فلم تكن دراسته متركّزة، فدرس هنا وهناك دونما تركّز» (اختياري، ١٣٨١: ١٩). لقد تزوّج شاملو في حياته ثلاثة مرّات. لكنه كان في خلاف كبير مع صاحبتيه الأوليين و انتهى إلى الطلاق، سوى صاحبتيه الأخيرة آيدا سركيسان وهي التي كانت لها دور هامّ في تفتّح برعمه الادبي والفكريّ. لذلك يخصّصها الشّاعر مجموعتين من مجموعاته الشعريّة كـ«آيدا في المرأة» (آيدا در آينه) و«آيدا والشجرة والخنجر و الخاطرة» شكراً لجميلها في حقّه وعرفاناً لقدرها طيلة الحياة. «بدأ شاملو نشاطاته السّياسية عام ١٣٢١ عندما كان تلميذاً في المرحلة الإعدادية. ألقى في السّجن بعد ذلك بقليل على أيدي المتّقين، فترك الدراسة مائلاً إلى السّياسة. أخذ يعمل في الصّحافة عام ١٣٢٤ في مجالات متعدّدة منها مثلاً الأدبية والسّياسية والأدب العام او فولكلور» (نفسه: ١٩).

٢. عرض الموضوع

٢-١. ديناميكية البيئة السّوريّة في تكوين بناء الماغوط الفكريّ والعاطفيّ

نعلم جيّداً أنّ البيئة لها تأثير هامّ في توجيه الادب بشكل عام. و الشّاعر يتأثر بالبيئة كما انه يؤثّر عليها على جهة التّسبب. وكذلك البيئة من القضايا والعنصراتيّ تؤثر كثيراً على ذهنية الشّاعر في تجربته الشعريّة؛ ذلك أنّه هناك صلة وثيقة بينها وبين بنية الشّاعر الفكريّة والعاطفيّة. فإذا كانت البيئة تمتاز بالاضطراب والتأرجح فتتأثر بها نفسية الشّاعر أيضاً، فتميل إلى العواطف السلبية من الحزن، والغمّ، والكتابة، والسودائية أحياناً. كما أنّها إذا كانت تطبع بطابع إيجابي معتدل فتمتاز ذهنية الشّاعر بالاعتدال والثبات إطلافاً. لكن إذا أردنا ان نعدّ الدوافع والعوامل التي أثرت في توجيه الماغوط الفكريّ و الادبيّ يمكن الاشارة إلى الاسرة التي كان يعيشها الشّاعر. ويقول في هذا الصّدّد «كَانَ أَيُّ لَّا يَجْبُنِي كَثِيرًا / يَضْرِبُنِي عَلَى قَفَاي كَالْجَارِيَةِ / وَيَشْتُمُنِي فِي السُّوقِ / وَيَبِنَ الْمَنَازِلَ الْمُتَلَطِّحَةَ كَأَيْدِي الْفُقَرَاءِ / كَكُلِّ طُفُولَتِي ضَانِعًا ضَانِعًا...» (الماغوط، ٢٠٠٦: ٤٥). يتّضح لنا أنّ أسرة الشّاعر كان تطبع بطابع سلطويّ و الاب هو المهيمن عليها في قضايا الحياة على الاطلاق. هذا الامر أذى بدوره تأثيراً كبيراً في قوّة الشّاعر الابداعيّة. فكثيراً ما نجد يتذكّر متأوّها أيامه الماضية بالاعتماد على تقانة الاستذكار. السّجن من العوامل الاخرى التي كان لها أيضاً تأثير هامّ في تجربة الماغوط الشعريّة. و لربّما كان السّجن الدافع الحوريّ الذي جعل برعم الشّاعر الادبيّ يتفتّح أكثر فأكثر حتّى يصبح من كبار الشعراء أو بل من رواد قصيدة النثر. يقول نفسه عن تأثير السّجن في بعض محاوراته مع خليل صويلح قائلاً «في السّجن اتمّارت كلّ الأشياء الجميلة و سقطت جماليات الحياة فيه و لم يبق أمام السّجين سوى الرّعب و الفرع فقط ولا غير. فقد فوجئت بالقسوة والرّعب و بضغوط قاسية على شخصي الضّعيف، إذ لم أكن مؤهلاً آنذاك نفسياً أو جسدياً، لما تعرّضت له من هوان و ذلّ. و كان السّجن المبكّر هو بداية صحوة الشّباب و بدلاً من أن أرى السّماء، رأيت الحذاء، حذاء عبدالحميد السّراج، وهذا ما أثر على بقية حياتي. نعم رأيت مستقبلي على نعل الشرطي...» (صويلح، ٢٠٠٢: ١٦). على آية حال، يمكن تقسيم تأثير السّجن على اتجاه الشّاعر ضمن

محورين هامين هما الإيجابي والسّليبي. فالشاعر عندما دخل السّجن تعرّض لسوء العذاب والقمع، فأثّر هذا الأمر على ذهنيته سلبياً، مما وجه عاطفته نحو التّزعات السّلبية كالتّمرد، والرّفص، والإطلاقية، والدغماتية. لكن بعبه الإيجابي هو ان الشاعر أصبح -نتيجة الضغوط السياسية- شاعراً كبيراً، مفلحاً وادرك الحياة بالمعنى الواسع للكلمة. العامل المحوري الآخر الذي يلعب دوراً هاماً في بناء الماغوط الشعريّ والشّعراء السوريين هو وضعيّة سوريا السياسيّة العامّة من جهة و الدّول العربيّة من جهة اخرى. في الحقيقة أنّ الحربيّ العالميّ الأولي والثانية و بما فيهما من اتفاقيات أمثال سايكوس- بيكو و وعد بالفور لم تكن إلّا سبباً في زيادة الأزمات الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة في البلدان العربيّة و لاسيما سوريا. «فأصبحت هذه البلاد (العربيّة) في حضمّ المارك الدولية من جهة و المارك الداخلية من جهة أخرى. كما أنّها أصيبت بالانهيار الثقافي والاقتصادي، وانخفاض مستوى المعيشة بين الناس عقب ذلك و رغم موقع سوريا المناسب الذي أضحي سبباً لتحوّلها إلى بلاد تجارية رائعة، إلّا أنّها مع ذلك كان بلاداً في الوقت ذاته لعبور جيوش الدّول القوية من الشّمال إلى الجنوب، وعلى طول شاطئ البحر للوصول إلى مصر وبالعكس» (كشيشان، ٢٠٠٨: ٥٣).

٢-١-١. عاطفة الماغوط الشعريّة

تعتبر العاطفة عنصراً هاماً آخر، له دور هامّ في توجيه الأثر الادبيّ نحو الرقيّ والتطوّر. في الحقيقة إنّ العاطفة مكوّنة أخرى من المكوّنات الادبيّة التي تؤدّي وظيفتها من منظور سيكولوجي. فيقدر ما يرتفع مستوى العاطفة يصبح البيان أكثر جلاءً وأشدّ وقعاً على النّفس لدى الشّاعر. ممّا لا شكّ فيه، أنّه هناك علاقة وثيقة بين الأدب و علم النّفس؛ لأنّ نفسية الأديب مفتاح تحكّم يوجّه حركته الأدبية من بُعد «و كما أنّ الأدب ميدان تنبّاري فيه العقول وتتنافس فيه الأفكار و حيث أنّ الأدب ميدان فكر وتدبّر و مجال إمعان وتبصّر فلا مرء في أنّ هناك علاقة وثيقة بين علم النّفس و الأدب ممّا يفتح المجال لعلماء النّفس والمشتغلين به لكي يجولوا في هذا الموضوع و لأنّه حيث يوجد نشاط عقليّ توجد مادة خصبة بأرض عامرة لعلم النّفس لكي يثبت وجوده ويستقيم عوده و يحقّق من خلال ذلك ذاته وموضوعه» (فضل محمد، ١٩٨٨: ٦٤). تعتبر العاطفة عنصراً هاماً في تجربة محمّد الماغوط الشعريّة. فما من قصيدة له إلا و فيها نوع من التّزعة العاطفية توجّه البنية الدلالية نحو جو سيكولوجي خاصّ بالشّاعر و أبناء شعبه. والجدير بالذّكر أنّها أحياناً تتغلّب على بنية الشّاعر الفكرية حيث تطبع القصيدة بطابع عاطفيّ بحث بعيد عن أي فكرة. تنقسم العاطفة في تجربة الماغوط إلى عاطفة الحبّ و الغضب.

٢-١-١-٢. عاطفة الحب: هي تأتي من ضمن محورين اساسيين هما:

أ: حبّ المرأة: لقد احتلّت المرأة مكاناً واسعاً في بناء الشاعر الشعريّ حيث أنّنا نجد أنّه قد تدلّ بعض عناوينه الشعريّة على المرأة مباشرة أم غير مباشرة. فلنقرأ هنا كلام «فواز حجو» في هذه المناسبة عندما يقول: «...و على ذكر المرأة نجد الماغوط في شعره شديد الاهتمام بها، ولا يذكرها إلا في نفسه أشياء منها، ولعلّ أبرز ما يتراءى في شعره نحو المرأة حرمانه الذي انطبعت عليه شخصيته، ولا يمكن أن نتحدّث عن هذه الشخصية بمعزل عن أثر المرأة في شعره وشخصيته وقد تناول شعره بالدراسة لوي آدم واستنتج اعتماداً على مفهوم فرويد للتزوع الإبداعي لأن التوتّر الدائم الذي رافق الماغوط نتيجة الكبت الغريزيّ هو السبب الحقيقي لهذه التّزعة الإبداعية». (حجو، ٢٠٠٤: ٣١). إذا راجعنا شعره وجدناه يجسّد هذا التزوع في أكثر من قصيدة. ففي قصيدة «الشتاء الضائع» يقول: «يطيب لي كثيراً يا حبيبي، أن أجذب... / أن أفقد كاتبتي أمّام نغرك العسليّ / فأنا جارح يا ليلى» (الماغوط؛ ٢٠٠٦: ٣٧). هكذا تصح المرأة عنده طعاماً يتغذى به إشباعاً لنفسه و

إرضاء لعاطفته. على هذا ينتهي بنا الأمر بالنسبة للشاعر إلى أن نحكم عليه بـ«الجبر النفسي»؛ لأن ذلك أصبح جزءاً لا يتجزأ من فكرته ونظرتة ويقوده حيث يشاء. يؤيد هذا الأمر كلامه: «آه كم أودُّ / أن آكل النساء بالملاعق / أن أفصم أكتافهن كالفهد / الزوجات الوحيدات / الزوجات السمراوات / حاملات الحليب والخضار...» (نفسه: ١٨٦).

ب: حب القرية: هو آية أخرى يعتمد عليها الماغوط في تجربته الشعرية خلاصاً من الضغوط الحارجية و المشاكل و الصعوبات الاجتماعية. كثيراً ما نجد الشاعر يبدي عن حبه العميق لبيته الذي كان يعيش فيه بدايات تكوينه و ميلاده. يقول في هذا الصدد: «بيتنا الذي كان يقطن على صفحة النهر / و من سقفيه المنداعي /... / هجرته يا ليلى / أو تركت طفولتي القصيرة /... / تدب في الطرقات الخاوية كسحابة من الورد والغبار / غداً يتساقط في قلبي / أو تقفز المتزهات من الأسماك و الضفائر الذهبية...» (نفسه: ٦٦). يصور الشاعر هذا البيت معرباً عن حبه العميق له و أسفا عليه شديداً. يقول بتعبير آخر: «كان بيتنا غاية في الإصفرار / يموت فيه المساء / ينأم على أنين القطارات البعيدة و في وسطه / تنوح أشجار الرمان المظلمة العارية / تتكسر و لا تنتج أزهاراً في الربيع / حتى العصافير الحنونة / لا تغرد على شبايكنا...» (نفسه: ٦٦). فاعتماد الشاعر على «كان... يقطن»، «هجرته»، و«تركت» في المقطع الأول، و«كان بيتنا»، و«يموت فيه المساء»، و«أشجار الرمان... تتكسر و لا تنتج» يدلنا على أن الشاعر قد اعتمد على تقانة الاستدكار في بنائه التصويري و ذلك يوجهنا إلى انفعال عاطفي ينتج عن مولده المتاز بالضعف و الركافة.

ج: حب الوطن (الوطنية): إن الماغوط بطبيعته عاشق متمرّد يحترم قواعد الشوق و الحب. وقد تعلمها في أزقة العواطف و شوارعها نقطة نقطة و حرفاً حرفاً. ولا يقصر في نزعة الفيزيائية فقط، بل يتجاوزها إلى حب إنساني رفيع كحبه للوطن و لاسيما سوريا و لبنان اللتين تفتح فيهما برعمه الشعري. يقف منهما موقف عاشق صاف يحترم المعشوق تماماً. يعبر عن حبه لوطنه سوريا قائلاً: «و الوطن بين و يبكي على مدار الساعة / و أنا كأنا الحائرة / و لا تعرف سوي أن تُصلي / و تضمه إلى صدرها / و تستعجل قدوم الصباح...» (نفسه: ٢٩٠). يحب الوطن حب عاشق ترك الامور كلها منقطعاً اليه، حب من اختلط بلحمه و دمه، حب أم تضم ابنها إلى صدرها. هنا يكشف لنا عن علاقة تلازمية بينه و بين الوطن كما هو واقع بين الحب و الحبيب، و الحب باق إلى ذروة الوحدة. يقول في مكان آخر عن شدة حبه لوطنه: «أيها الوطن العارق في التفاهات / لن أفقدك... / حرمتي رؤية النجوم / تأمل الأفق / إنتظار الفرج / رائحة الحنجر...» (نفسه: ١٥٥). يحب الوطن دون أي توقع منه، سواء أن يكون بغيضاً أو فاتراً أو شهياً. ذلك هو الذريعة الوحيدة التي يمكن بها العاشق أن يرى سعادته و كاتبته و حزنه. هو امرأة تنعكس فيه ذكرياته و همومه و أفراحه، و كذلك سجله الحضاري. في الحقيقة إن المرأة، و الوطن، و القلم، و الأدب من المحطات الرئيسية العاطفية الماغوطية، مما يستمد منها على مدار الحياة.

د: حب القوم (القومية): من المحاور العاطفية الأخرى التي لها دور هام في بنية الماغوط الشعرية هو حب الشاعر للقومية العربية. و ذلك يأتي من خلال المصائب و الشدائد التي سيطرت على جميع البلاد العربية و لاسيما فلسطين و سوريا. يعبر عن هذا الامر قائلاً: «مستقبل العراق مظلم / مستقبل فلسطين مظلم / مستقبل الحرية مظلم / مستقبل الوحدة مظلم / مستقبل التحرير مظلم / مستقبل الاقتصاد مظلم / مستقبل الثقافة مظلم...» (نفسه: ٤٥) و في ذلك أيضاً: «أيها التاييز الجميل هذه ليست أغنيتي / أيها البحار الهانجة هذه ليست سفي / أيها الجبال هذه ليست مغاوري / يا قطار الشرق السريع هذه ليست حقاني / أيها الصحراء هذه ليست مضاري...» (نفسه: ١٧١). يتضح جلياً أن الشاعر فضلاً عن

حبّه العميق تجاه وطنه يتجاوز الحدّ إلى انفعال قومي عميق. يتغرد بالعراق و فلسطين فيجوب بشعره آفاق البلاد العربيّه معبراً عمّا طرأ على هذه البلدان من ضعف و ركافة في المجال السياسي و الثقافي و ما إلى ذلك.

٢-١-١-٢. عاطفة الغضب: على الرّغم من أن الماغوط يبدو كثيراً عاشقاً حنوناً يحبّ وطنه، موجّهاً إليه بأعطر التحيات و التّهاني، منطلقة من صميم القلب، لكنّه لاتفوته لحظة أن يصبّ بنار غضبه على المستكبرين بسلاحه السخريّ المجهود. وفي الحقيقة تعتبر «السخرية-عنده» أداة لإعلان موقف رافض و انتقاديّ بالنّسبة للأوضاع الرّاهنة في جميع المجالات السياسيّة و الاجتماعيّة و الثقافيّة و الأدبية و مهاجمة هذه الأوضاع و الكشف عن أسباب ترديها و ذلك عن طريق التركيز على الاخطاء السلطوية و سوء تصرفاتها في إطار يشير الضّحك عند المتلقّي لكنه في نفس الوقت يدعو إلى تحسين أمور مجتمعه...» (شاكر، ٢٠٠٣: ٥١). يعتبر شعر الماغوط نوعاً عالياً من السّخرية الضّاحكة-الغاضبة التي تعكس حالة الإنسان العربيّ الفكريّ، فهو يثير الضّحك للقارئ و يعث بروح التّكئة إليه من ناحية، ثمّ يقدّم لنا الصّورة الحقيقيّة للإنسان العربيّ الذي لا يفكر إلاّ في سعر التّفط، و الأكل و اكتراش المعدة، من ناحية أخرى. و إن حديث الشاعر عن قضايا بسيطة في المقطع التالي كـ «إشراق الشّمس من الشّرق و غروبها من الغرب» ليس إلاّ دليلاً على الجمود الفكريّ لدي العرب. يقول في هذا السياق: «... كما أحيطكم علماً بهذه المناسبة السعيدة: إن الشّمس تُشرق من الشّرق و تغرب من الغرب / وهناك أربعة فصول في السنة: الصّيف و الشّتاء و الرّبيع و الخريف / و الشّمس ثابتة و كل الكواكب الأخرى تدور حولها / ثمّ الجبال عالية و الوديان منخفضة / و المطر ينزل من السّماء و الينا عين تنفجر من الأرض / و كلّها تصبّ في البحر و البحر يصبّ في المحيطات / وهناك خمس قارات...» (الماغوط، ٢٠٠٦: ٣٠٣). حقاً يرى أن المشاكل الاجتماعيّة في الدّول العربيّة لاتأتي من ضعف الوعي الجماهيري فقط بل تأتي أيضاً من التّظام السياسي المسيطر على هذه البلدان. فلذلك يجري مقارنة بين الجنديّ الأروبيّ و الجنديّ العربيّ بأسلوب سخريّ يخالجه نوع من الغضب و الاستياء. يقول في هذا المجال: «الجنديّ لأروبيّ و هو في خصم المعركة و لو بالسّلاح الأبيض / يحاول أن يحمي مؤخرته العسكريّة و الاقتصاديّة و الاستراتيجيّة / و الفنيّة و الحصريّة كلّها / بينما الجنديّ العربيّ مشغول بمؤخرته الجسديّة / حيث يتربّع عليها» (نفسه: ٥٤). يبدو هنا الشّاعر ناقداً سياسياً بأسلوب ساخر يفرّق بين النزعة الفكريّة للجنديّ الأروبيّ و الجنديّ العربيّ؛ أن الأروبيّ له استراتيجية عالية في البعد السياسي، ذلك أنه ما يهّمه هو القوام السياسي، ممّا يتعلّق بالأمور العسكريّة و الاقتصاديّة و اللاستراتيجية. إلاّ أن العربيّ ليس له نزعة سياسية حتى يفكر فيها. هو ينظر إلى السياسة نظرة تافهة، فيحطّ من قيمة السياسة، من الدّفاع عن الهوية الجمعيّة أو الانسانية، إلى «مؤخرته الجسديّة حيث يتربّع عليها». و قديسخر من نفسه بسبب التّمرد الذي جعله بعيداً عن المجتمع و القواعد الاجتماعيّة. عبّر عن هذا الامر في قصيدته المعنون «الهوية الإلكترونيّة» قائلا «الإسم: مُحَمَّدٌ أو عيسى أو موسى /... الطول: حسب الجهة التي أقف أمامها في تلك اللحظة / الجنس: حسب فِراسة المُختار و أمين السجّل المدنيّ / الهوية: التّأوُّب / الحالة الاجتماعيّة: متزوِّج أو مُتاهلّ من القضيّة / التّابعيّة: جمهوريّة أفلاطون الشّعبيّة الديمقراطيّة العربيّة أو جمهوريّة فرحات ليوسف إدريس / مكان الإقامة: أي رصيف أو حاوية عليه / السن: مُحيرّ / العنوان الإلكترونيّ: «شرق عدنّ غرب الله» (نفسه: ٢٤٥-٢٤٦). واضح هنا أن الشّاعر قد أصيب بنوع من الإزدواجية الرّويّة. لقد فقد الشّاعر جميع ما يكون في الإنسان العاديّ كالحبّ و الأمل و الفرح وغيرها. العنوان الإلكترونيّ هو الذي قد

نتج عن نزعة الشاعر الحلامية. وبشكل عام إن اتجاه الشاعر العاطفي ينتهي إلى العدمية العاطفية، إلا أنه لو أمعنا قد يطبع شعره بطابع لا يخلو منه بصيص أمل بالحياة.

٢-١-٢. بنية الماغوط الفكرية

تعتبر الفكرة في مجال الادب من المكونات الرئيسية التي تجعل الادب كاملاً و تاماً في جوهره وكذلك متسقاً ومنسجماً في بنائه المعنوي. هناك للفكرة وكل ما ينتج من الآثار الادبية وغيرها في المجالات الاخرى علاقة وطيدة حيث يجعلنا أن نحكم عليها بكونها منعدمة، لما جردناها منها على وجه التطبيق. فالفكرة و بجانب المكونات الادبية الاخرى، فإنما هي عنصر هام في مجال الادب حيث يجعل الأثر ذا اتجاه معين في مساره التكويني. هذا من جهة لكن من جهة أخرى هي أساس محوري قد احتل البناء الادبي و الذي في تعامل دائم مع المكونات الأخرى كالحيال والتصوير والعاطفة. أما مفهومها من المنطلق النفسي «فلقد قرّر علماء النفس أن الفكرة في الشيء يسبق العمل به حتماً. فالعمل الاختياري إنما يعمل به التفكير فيه. فإذا نحن أردنا اعتياد عادة أو العدول عنها وجب النظر في أساس ذلك و هو الفكر» (الخليل، ١٣٥٣: ٢٣).

مما لاشك فيه، أن العاطفة و الفكرة على تعامل دائم في تجربة الشاعر الشعري بشكل عام. فلما كانت العاطفة متميزة بالإيجابية تميل الفكرة أيضاً نحو الرقي و التطور. كما انما إذا كانت متميزة بالسلبية فالفكرة تميل إليها أيضاً. لا يتجاوز إذن الماغوط عن هذه القاعدة أو بل نجدته يتأثر كثيراً بالعاطفة، فضلاً عن أن فكرته ترافقه في هذا المجال على الدوام. مهما يكن من امر تتكون بنية الماغوط الفكرية من ثلاث نزعات هي:

أ: **الزعة السياسية**: فضلاً عن نزعات الشاعر الشخصية في حياته، فلسجن تقدر وظيفة هامة في نزعة الأديبة والفكرية معاً. لقد ترك السجن في ذهنية الشاعر آثار سلبية ملحوظة. حيث نجدته يستعمل الكثير من التعبيرات السلبية "كالخزن" و«التشاؤم» و«الكتابة» في أعماله الأدبية، حيث تكون هذه الأمور نزعة الشاعر الفكرية المتمردة و الرافضة. يعبر نفسه عن تأثير السجن قائلاً: «السجن ليس بالأيام أو بالأعوام، إنما باللحظة... صحيح أنني لم أسجن طويلاً، و لكنني حين سجنحت في المرة الأولى رأيت الواقع على إيقاع نعل حذاء الشرطي الذي كان يضرب على صدري... و في الزنزانة زارني الخوف وعرفني وأقام معي صداقة لا زالت قائمة بداخلي حتى اللحظة... صار الخوف يسكنني وهرب مني الأمان (الماغوط، ٢٠٠٦: ١٥). واحد من المحاور السياسية التي يركز عليه الشاعر في تجربته الشعرية هو العدالة ولاسيما السياسية منها. تقول سنية صالح صاحبة الشاعر في هذا السياق: «فمأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها «الشرق الأوسط» و منذ مجموعته الأولى «حزن في ضوء القمر» و هو يحاول إيجاد بعض الكوي أو توسيع... و لا يملك من أسلحة التغيير إلا الشعر». (الماغوط، ٢٠٠٦: ١٥). فلا تنحصر سياسة الماغوط على مسقط رأسه سوريا بل يتجاوز الحد إلى نزعة عامة سياسة تعم السياسة الدولية التي يرأسها اوباما و متفقيه. لذلك يقول مأساتنا أننا قد ولدنا في غرفة مسدلة الستائر «الشرق الأوسط» ذلك أنها كانت، من قديم الزمن، عرضة للهجمات الأوروبية و من بينها يمكن الإشارة إلى الحرب العالمية الأولى والثانية التي بموجبها أصبحت الدول العربية خاضعة للدول الأوروبية و لا سيما سوريا التي تعرضت بالإضافة منها لانتقالات وثورات داخلية دمّرت بنائها السياسي والاجتماعي وغيرها إطلاقاً.

ب: **الزعة الانسانية**: تنطلق من احتكاك الشاعر العاطفي بالبيئة الانسانية وما يتعلّق بها من الحرية و الكرامة و الشرافة و ما إلى ذلك. كثير - للماغوط - هي القصائد التي تملأ بالانسان و مكوناته المحورية كالحرية و الشرافة و ما شاكلها بشكل خاص. في مكان هو يبحث عن جوقه شرف قد دمّر بناءها في شوارع الاجتماع و السياسة قائلاً: «إني أتون من اللهب /

وأريدُ جَوْقَةً شَرَفٍ/.../حَتَّى لَا أَحْوِلُهَا إِلَى رَمَادٍ...» (الماغوط، ٢٠٠٦: ٢١). فيما يبدو أنّ الشّاعر يرى أنّ المجتمع قد فقد إحساسه بالشّرف الذي يكتمل به البناء الانساني و يجب الاحتفاظ به مع الطّبيعة الإنسانية. هنا يؤكّد الشّاعر أنّ المجتمع قد فقد إحساسه وشعوره بالشّرف والكرامة، كما أنّه فقد قدرته على الوقوف أمام أي ظلم يعرّض وجوده وشرافته للزّوال و القمع. ذلك أنّه أصبح مجرد مستمع إلى ضوضاء و صخب الظّلم و ناظرًا للخيانة والتّحرّشات الجنسية الّتي يرتكبها الخونة والقنلة تجاه الطّفلة و المرأة .

ج: **الترّعة الاجتماعية:** يتحدّث هنا الشّاعر عمّا طرأ على الهيكل الاجتماعيّ من ضعف جماهيريّ ووطنيّ أو ما تغلّب على المجتمع العربيّ- من جانب الأروبيين- من ضعف وركاكة قدضراً بصحّة البنية الاجتماعية. هذه التّرّعة تأتي انطلاقاً من الحربين العالميتين الأولى والثّانية الّتين ألحقنا الدّول العربية أضرار فادحة لاطريق -للدول المضطّهدة- في الخلاص منها. يقول الماغوط في هذا السياق: «مُسْتَقْبَلُ الْعِرَاقِ مُظْلِمٌ / مُسْتَقْبَلُ فِلَسْطِينِ مُظْلِمٌ / مُسْتَقْبَلُ الْحُرِّيَّةِ مُظْلِمٌ / مُسْتَقْبَلُ الْوَحْدَةِ مُظْلِمٌ / مُسْتَقْبَلُ التَّحْرِيرِ مُظْلِمٌ /.../ مُسْتَقْبَلُ الْاِقْتِصَادِ مُظْلِمٌ / مُسْتَقْبَلُ الثَّقَافَةِ مُظْلِمٌ». (الماغوط، ٢٠٠٦: ٤٥). لقد أدرك الماغوط المجتمع السّوريّ خاصّةً والمجتمع العربيّ عامّةً اعتقاداً له بأنّ معاهدة كـ«بالفور» الّتي جعلت فلسطين خاضعة للدّول الغربيّة و كذلك معاهدة «سايكس بيكو» و الّتي بموجبها أصبحت سوريا و لبنان وغيرهما خاضعة للدّول الغربيّة؛ قد جعل هذه الدّول تطبع بطابع سوداويّ في حياتها الاجتماعية.

٢-٢. ديناميكية البيئة الإيرانية في توجيهه شاملو الفكريّ و العاطفيّ

لايستثنى شاملو في تجربته الشّعريّة عن تأثير البيئة أيضاً. ذلك أنّ إيران خضعت كسوريا للدّول الأروبية، بعد الحرب العالمية الأولى. فاستولت انكلترا على جنوب إيران وروسيا على شمالها. زد على ذلك أنّ «رضا شاه» كان مستولياً على البلاد، مسيطراً على البعد السياسيّ والاجتماعيّ إطلاقاً. فأصبحت البلاد تعرّض لأسوأ الحالات السّلبية في المجال السياسيّ والاجتماعيّ. تأتي هذه الحالات السّلبية من أبعاد تاريخيّة:

أ: فترة رضا خان. لقد أثرت الحوادث الموجودة في حكومته على الإيرانيين عامّةً من ميزات أنّها كانت تريد إيجاد امل كاذب بين الشّعراء والأدباء. لذلك نجد شاملو يختار «الصّبح»، و«اخوان الثالث» الامل، مستعاراً رداً على الجوّ السياسيّ المظلم آنذاك.

ب: عام ١٣٢٠ حتى ثورة مرداد ١٣٣٢ ش. يعتبر هذا الفترة من الفترات الرّئيسية في تاريخ إيران السياسيّ. يمتاز هذا العهد بهزيمة «جبهة ملي» و الّتي أثرت كثيراً على البعد العاطفيّ للأدباء والشّعراء آنذاك وكانت أيضاً ضربة قاضية على الهيكل الأدبيّ؛ إلّا أنّ أبرز الأشعار الفارسية هو نتيجة هذه الهزيمة.

ج: من ثورة ١٣٣٢ حتّى التّهضة الخامسة عشر لخرداد ١٣٤٢ ش. ثالث هزيمة وقعت بعد استيلاء المتفقين على إيران هو ثورة مرداد ١٣٣٢ من جهة ومهضة ١٥ خرداد لعام ١٣٤٢. كانت هذه التّهضة نتيجة السياسات العلمانية للحكومة والقبض على «الامام خميني». لذلك استغرق الكثير من الأدباء في العلاقات الجنسية والمخدرات وبعضهم امثال شاملو حاول تغيير الاتجاه العام من اللآ أمل إلى الأمل وهم كانوا في قنوط من الحكومة الجائرة (ميرزايي، ١٣٨٨: ٦).

٢-٢-١. عاطفة شاملو الشعريّة

يقول نفس الشاعري في موقفه من العاطفة على شكل ضمني «أن تعبي هو حياتي و أما تعبنا هو حياتنا و يكفيني شعوري الحاد... وأن شعري وسيلة تهديككم إلى عالم العاطفة» (حكمت، ١٣٩٠: ١٢٦). تعتبر العاطفة جزءاً لا يتجزأ من تجربة شاملو الشعريّة و« يتفرّع عنها الحبّ، والتّفور، و الغمّ، و الفرح، و اليأس، و القنوط، و الخوف، و الشّجاعة، و الغضب، و التزعة و ما إلى ذلك. تنتج المتقطعات العالية الأدبية من العاطفة، و تكون على نوعين: العاطفة الفرديّة و العاطفة الجمعيّة « (فتوحى، ١٣٨٣: ١٩٥). و نظراً إلى هذا فإنّ العاطفة تعتبر في أشعار شاملو من المحاور الأساسية التصويريّة التي يقوم عليها تجربته الشعريّة عامّة، ذلك أنّه نجده قد ذاق طعم العذاب في السّجن و المنفى، و شاهد و تعرّض لأسوأ حالات التعذيب و القمع، و عاش في مجتمع مليء بالحرمان، و الظلم، و الاضطهاد، و القمع و التفرغيب. و من ميزات أنّه كان تحت نير الاستعمار. فعاطفة شاملو تأتي من ضمن تعامله مع مجتمعه الذي تميز بالوحدة، و الغربة، و اللآمل الحياه، و السّوداوية تجاه الواقع، حيث أنّ لها تأرجحاً و استواءً. قد تميل إلى الأمل، و الفرح، و الحبّ. لكنّه عن قليل تتراجع إلى اللآمل، و التشاؤم، و السّوداوية تجاه الحياة. غالباً ما تنعكس هذه التّجليات العاطفيّة على نحو سلبيّ في تصه الشعريّ و تنقسم إلى محورين اساسيين:

أ: **عاطفة الحبّ:** لعاطفة الحبّ عند شاملو بُعدان هامان، بعد يتعلّق بحبه للمرأة و بعد آخر يتعلّق بالعاطفة الإنسانيّة الجمعيّة التي تنبعث من ظروفه الأسرية و البيئيّة و ما إلى ذلك. قد ذاق شاملو طعم العذاب و تعرّض لأسوأ الحالات التعديبيّة و القمعيّة في السّجن. إلّا أنّه كان هناك له سجن آخر و هو سجن المجتمع الذي كان يمتاز بالمفارقة و التناقض الطّبيقيّ و الفكريّ. و الذي قد يعاني من ثقل الحكومة الجابرة. لذلك يقول: «السّنة السّيئة/سنة الرّيح / سنة أيام طوبيلة و مقوامات ضعيّفه/ سنة تسوّل فيها الكبرياء / السّنة الدنيئة/ سنة الحداد/ سنة دمة» «بوري» / سنة دم مرتضى / سنة الكبيسة...». «سال بد / سال باد / سال روزهای دراز و استقامت های کم / سالی که غرور گدایی کرد / سال پست / سال عزا / سال اشک پوری سال خون مرتضی / سال کبیسه...». (شاملو، ١٣٨٩: ٤٥٣). «يتمثّل الحبّ في تجربة شاملو في القالب الاجتماعيّ و الحماسيّ» «اكبري، ١٣٩١: ٥٥). فعاطفة الشاعري هذه تنبعث من صميم مجتمع يتّصف عامّة بالريح و الشكّ و البكاء...! و طبعاً تميل أولاً إلى زوجته «أيدا» و قد جعل لها قسماً مستقلاً في شعره، رغبة في إبراز حبه و شكره و عرفانه لها، لما بذلته من قوّة عاطفيّة دفعت الشاعري من حبّ سطحيّ إلى حبّ عميق إنسانيّ يمتاز بالصدّاقة و الإنسانيّة. في الحقيقة إنّ حياة شاملو تغير اتجاهها بعد أن تعرّف على «أيدا سرکيسان»، و كذلك تغير مسير عاطفته بها، من اللآمل إلى الأمل، من الضّعف إلى القوّة، من الاضطراب إلى السّكينة و الهدوء. حيث أنّ هذا الأمر يتجلّى في أشعاره بوضوح تام، اعتباراً له بأنّها مصدر الحبّ و الشوق إلى الحياة. و ذكر-أنفأ- أنّه تزوّج في حياته ثلاث مرّات . و تزوّج أخيراً من أيدا و تحوّلت حياته إطلاقاً عقب ذلك. يقول فيها: «حادثني عيناك / أنّ الغد / يوم آخر / تلك العيون التي إرهابت للمحبّة / وهذا حُبّك الذي... حربيّة / أصارغ بها قدرتي / كنتُ قد ظننتُ الشّمس...! فيما وراء الأفق... / قد زعمت هكذا / كانت أيدا ختاماً لِبَطالٍ لِلسّفرِ الأبدي...»: «چشمانت با من گفتند / که فردا / روز دیگری است / آنک چشمانی که خمیر مایه می مهر است! / و اینک مهر تو: نبردافزاری تا با تقدیر خویش پنجه در پنجه کنم / آفتاب را در فراسوهای افق پنداشته بودم. چنین انگار بودم / آیدا فسخ عزیزمت جاودانه بود...! (نفسه: ٤٥٣). يتضح أنّ الشاعري قد ورد في زمان آخر بتعامله العاطفيّ مع زوجته. لذلك يقول أنّ عينيك تعبيران عن يوم و غد جديد مفعم بالحبّ و الشّقاوية. فهي عنده الخطّ الفاصل بين الأمل و اليأس، و الفرح و الحزن و ما إلى ذلك. على أية حال فإنّ شاملو ينظر إلى المرأة عموماً

نظرة من يقرّ بحسّها المرهف الذي يوجّه المسير التّفسيّ للإنسان نحو الإيجاب. أمّا البعد الآخر لعاطفة الحبّ عند شاملو هو الحبّ الإنسانيّ المنطلق من حبّه للمرأة. هذا الحبّ يدفعه إلى التّفوّه بالوحدة الإنسانية لا الاتّحاد الإنسانيّ. تتجلى هذه النزعة حينما يقول: «أنا و أنتّ واحد شوق / أفضل من كلّ شغلة / حيث لا تستولي علينا الهزيمة أبدا / ذلك أننا في حصن من الحبّ / ... قد عشتش السنونو... في مَحِيننا / مِثْلًا / البَيْتُ / يايا - ذهاب مُسرِع / من إله مَفْقُود...»: من و تويكي شوريم / از هر شعله ای برتر / که هیچ گاه شکست را بر ما چیرگی نیست / چرا که از عشق روین تسیم / و پرستویی که در سریناه ما آشیان کرده است / با آمد - شدنی شتاب ناک / خانه را از خدایی گم شده / لبریز می کند...! (نفسه: ٤٥٩). هنا يطلب من الناس عامّة أن يجتمعوا في ظلّ خيط واحد و هو الوحدة لا الاتّحاد. و بها يريد أن يثبت لهم أنّ العدو يستحيل به أمرهم إطلاقاً. ذلك أنّه اعتبر نفسه و المقابل شوقاً أفضل من شغلة نار، لا تنطفي أبداً. و الحبّ الجمعيّ عنده هو الجته الحصينة التي لا يمكن للعدوّ أن يكسرها أبداً. في الحقيقة إنّ شاملو قد جعل أبواب مستقلة شعرية للمرأة خاصّة و للانسان عامّة، تعبّر فيها عن حبّه الرّفيع العالی على جهة الاستحقاق. و مقابل البعد الايجابي لعاطفة الشاعر هناك البعد السلبي وذلك:

ب: عاطفة اللآ أمل: واحد من ميزات شاملو الشعريّة «هو نزعتة الثنائيّة العاطفيّة. فتأثره من السريالية والمستقبلية يكسب أشعاره المفردات الصّلبة و اللبنة و الموت و الحياة و المحبة و التّفور معا...»: (براهني، ١٣٨٤: ٥٨). ففي تجربته نجد يتعامل القنوط و اللآمل - من المنطلق التّفسي - باعتبارهما من العواطف السّلبية، مع العواطف الإيجابية كالفرح و البهجة و السرور، و البساطة. و في أحيان كثيرة تتغلّب العاطفة السّلبية على العاطفة الإيجابية في تجربة الشاعر. فيأتي الكلام ممتازاً بالتعقيد و التناقض التّفسيّ. إذن عاطفة شاملو هي نتيجة احتكاك العواطف السّلبية بالعواطف الإيجابية. لودققنا قليلاً إلى قصائد الشاعر لا نضح لنا أن عصارة احتكاك العواطف عند الشاعر تتسم بالسّلبية، و هي اللآمل، و التناؤم، و الحزن. حيث نجدّه يترع في كثير من قصائده إلى اللآ أمل، و اليأس، و القنوط وغيرها. يقول في هذه المناسبة: «حالياً تحت نجم بعيد / أن دجاجة الظلمة / هي التي تلحن فوق سطح عظيم... / والرّجولة و الإنسانية يزوئهما كالرطب... والعَدَس... / أو كَلِمَة الإنسان / طلوع احتضار الرعب / فكّرته كائوس مجتاز حلم... المَجَانين...»: اكنون كه زير ستاره دور / بر بام بلند / مرغ تاریکی است / که می خواند / و مردی و مردانگی را / همچون خرما و عدس به ترازوی سنجد / و کلمه انسان / طلوع احضار وحشت است / و اندیشه آن / کابوسی که به رویای مجانین می گذرد...! (شاملو، ١٣٨٩: ٥٠٧-٥٠٨) يدلّ التصوير هنا على أنّ الشّاعر قد وقع في ظلمة كبيرة في حياته. و هذا الأمر ليس إلّا ناتجاً عن احتكاك العاطفيّ. مجتمع يزن الرّجولة و الإنسانية بشيء ضئيل من جهة و كيفية تعامل الشاعر العاطفيّ معه و وضعيته التّفسيّة من جهة أخرى. يعبر بكلامه عن قنوطه من الحياة في مكان اخر مصرّحاً: «صراخ و لاشي / ذلك أنّ الأمل ليس قادراً (إلى حيث) أنّ يضع رجله على رأس اليأس / نحن على بساط الأغشاب نائمون / قد توأصنا مع الحبّ على بساط الأغشاب / يتيقن الحجر / و مع أمل دوئها هزيمة / من بساط الأغشاب / قد قمنا بحب، يتيقن الحجر / لكنّ اليأس استطاع حيث... / أنّ الفراشات و الحجر ليست إلا همساً / صراخاً / و لاشيء بعد...». فريادی و دیگر هیچ / چرا که امید آن چنان توانا نیست / که پا بر سر یأس بتواند نهاد / بر بستر سبزه ها خفته ایم / با یقین سنگ / بر بستر سبزه ها

با عشق پیوند نهاده ایم / و با امید بی شکست / از بستر سبزه ها/با عشقی به یقین سنگ برخاسته ایم/ اما یأس آن چنان تواناست.../ که بسترها و سنگ زمزمه ای بیش نیست / فریادی / و دیگر هیچ...! (نفسه: ٣٥٧).

ج: عاطفة التشاؤم: تمتاز ذهنية شاملو بالتعقيد و التناقض. و ربما لو نظرنا نظرة قليلة إلى بنائه الشعري نصل إلى حقيقته العاطفية. لقد احتلت عاطفة التشاؤم محلاً واسعاً في نتاجه الأدبي. و هناك دوافع خارجية و باطنية لهذه النزعة النفسية. لكن لايسمح لنا المقام أن نستكشفها في هذا القليل. فمن أجل ما يقول الشاعر في ميله إلى العاطفة السلبية هو: «تَجَاوَزْ عُمُرِي عَنِ الثَّلَاثِينَ وَ أَنَا أَرْكَضُ مُهْرُولًا / مِنْ الْمُنْحَدِرِ إِلَى جِهَةِ الْعَدَمِ / أَشَاهِدُهُ أَمَامِي ضَبِيحًا / أَحْضَانُهُ مُفْتُوحَةٌ وَ رَوْحُهُ مُضْطَرِبَةٌ / الرُّوحُ تَرْتَعِشُ مِنْ وَصَالِي / أَنَا مَاءٌ وَ هُوَ يَتَحَرَّقُ عَطَشًا / قَدْ فَتَحَ الْجِسْمَ بِأَسْرِهِ كَالْقَلَمِ / لِيَتَلَعَّبِي كَذَلِكَ مِنَ السَّمَاءِ...». سالم ازسی رفت و غلتک سان دوم / از سراشیبی کنون سوی عدم / پیش رو می - بینم اش مرموز و تار / بازوان اش بازو جان اش بی قرار / جان زشوق وصل من می لرزدش / آب ام و او می گدازد از عطش / جمله تن را باز کرده چون دهان / تا فرو گیرد مرا، هم ز آسمان... (نفسه: ١٠٣) فَإِنَّ الدَّلَالَهَ الْأَصْلِيَّةَ وَ الْحَوْرِيَّةَ الَّتِي هُنَا تُشِيرُ إِلَى نَظَرَةِ الشَّاعِرِ السُّودَاوِيَّةِ تَجَاهَ الْوَاقِعِ هِيَ «تَجَاوَزْ عُمُرِي مِنَ الثَّلَاثِينَ»؛ ذَلِكَ أَنَّهُ هُوَ فِي عَمَقِ الْحَيَاةِ لَكِنِّه يَشْعُرُ بِاللَّأْمَلِ وَ الْقَنُوطِ وَ السَّأْمِ. يَتَسَمَّ مَسِيرَهُ الْعَاطِفِي هُنَا بِمَجْلُوهَا عَنِ الْفِكْرَةِ بِتَاتَا. لَكِنِّ الْمَحْطَّةَ الْأَخِيرَةَ مِنَ عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ تَأْتِي مِنَ خِلَالِ امْتِزَاجِ الْعَاطِفَةِ بِالْفِكْرَةِ وَ سَيَطْرُقُهَا أَحْيَرًا. فَيَصِيرُ كَلَامُهُ يَتَأَلَّفُ مِنَ عَاطِفَةٍ بِحْتَةٍ. وَ قَدْ يَرَى فِي الْحَيَاةِ بَصِيصَ أَمَلٍ يَتَلَأَلُ مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ. وَ ذَلِكَ حِينَمَا يَقُولُ: «يَوْمًا أَقَلُّ أُنْشُودَةَ هُوَ الْقُبْلَةَ / وَكُلُّ انْسَانٍ؟ لِكُلِّ انْسَانٍ / أَخْ / يَوْمًا لَا يَغْلِقُونَ أَبْوَابَهُمْ بَعْدُ... / الْفُئْلُ / أُسْطُورَةٌ / وَالْقَلْبُ / يَكْفِي لِلْحَيَاةِ / يَوْمًا مَعْنِي كُلِّ كَلَامٍ هُوَ الْحُبُّ / يَوْمًا لَحْنُ كُلِّ كَلَامٍ حَيَاةٌ /... / يَوْمًا كُلُّ شَفَقَةٍ أُغْنِيَةٌ /... / يَوْمًا تَأْتِي أَنْتَ لِلْأَبَدِ / يَوْمًا نُقَدِّمُ إِلَى عَصَا فِرِينَا الْحَبَّةَ...». روزی که کمترین سرود / بوسه است / و هر انسان / برای هر انسان / برادری است / روزی که دیگر درهای خانه شان را نمی بندند / قفل / افسانه ای است / و قلب / برای زندگی بس است روزی که معنای هر سخن دوست داشتن است... / روزی که آهنگ هر حرف زندگی است... / روزی که هر لب ترانه است... / روزی که تو بیایی؛ برای همیشه بیایی /..... / روزی که ما دوباره برای کبوترهایمان دانه بریزیم...! (شاملو، ١٣٨٩: ٢٠٧-٢٠٨). هذا هو مدينة الشاعر الفاضلة التي يبحث فيها عن بصيص أمل بالحياة و يمكن نحكم بالجزم على الشعراء جميعاً على أنهم يلوذون إلى هذه الركيزة خلاصاً من القضايا الاجتماعية و السياسية الصعبة.

٢-٢-٢. بنية شاملو الفكرية

يتأرجح أدب شاملو بين العاطفة و الفكرة. فيميل أحياناً إلى العاطفة و أحياناً أخرى إلى الفكرة. لذلك نجد شعره قديطبع بطابع عاطفي بنوعه الايجابي و السلبي و أحياناً أخرى يطبع بطابع فكري يجوب آفاق السياسة و الفلسفة و ما إلى ذلك. تنقسم الفكرة عند الشاعر في نزعات أهمها:

أ: **النزعة الفلسفية:** قد تأثر شاملو في نزعتة الفلسفية إلى حد بعيد باتجاه ماركس، و فوثر باخ، و لاسيما سارتر الوجودي. يقول سارتر: «ليس الإنسان موجوداً؛ إذا كان بعيداً عن الغيرية» (احمدى، ١٣٨٤: ٩٠). يضع نفسه هذا الأمر في كتابه «الوجودية و أصالة البشر» قائلاً: «نحن نُدرك وجودنا بتعاملنا مع الآخرين. يتوقف إذن وجودنا بعضها على البعض. على هذا الأساس هناك نوع من الشرطية المتقابلة بين بعدنا الوجودي؛ حيث أن الأول شرط الثاني و الثاني شرط

الوجود الثالث و بالعكس كذلك» (سارتر، ١٣٤٤: ٤٥-٥٥). هذا يعني بشكل عام أن الانسان لايعني إلا بحضوره في المجتمع و انضمامه اليه. فالانسان بانقطاعه عن المجتمع ليس له اصاله. ذلك أنه خلق الانسان اجتماعياً في حد ذاته. و بطبيعته يميل إلى المجتمع و يبحث عن حاجاته فيه. يقول في هذه المناسبة: «إِذَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِي / أَقُولُ / كُلُّ شَخْصٍ قَطْرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي هَذَا النَّهْرِ الْعَظِيمِ / لَامَعْنَى لَهُ فِي الْوَحْدَةِ، وَلَا قِيَمَةً...». اگر از من شنوایی داری / می گویم / هر کسی قطره خردی است در این رود عظیم / که به تنهایی بی معنی و بی خاصیت است...! (شاملو، ١٣٨٩: ٨٥٩) يتضح هنا أن الشاعر يتحدث في منهجه الفكري حذوة «سارتر» و هو يعتبر الاجتماع اساساً لتكون الأنا والذات. بناءً على هذا المنهج الفكري فإن الطبيعة بكل ما فيها من جمادات و سواثل و حيوانات تشكل بناءً واحداً لا يمكن تجزؤه أبداً. يقول ماركس فيما يتعلق بعرضة الله و جوهرية المفهوم الإنسان مؤكداً: «أن الدين انعكاس أو تجلٍ من الأخطاء الفكرية في المجتمع الإنساني. عندما تعجز الحياة السياسية و الاقتصادية عن إغناء الإنسان في حياته يوجد الإنسان العالم الوحي للديانة، بما فيها من الحلم العايب. حتى إن الديانة تصبح تريباقاً (فيوناً) يستعمله الإنسان...» (الراكشي، د.ت: ٢٤٤). و في الحقيقة يرادف التدين بـ«لفقدان الذاتي» عند بعض المعاصرين. يتضح مما سبق أن ماركس يرفض العالم الماورائي تبريراً له بدوافع ذاتية نفسية و لها دور محوري في توجيه الإنسان الاعتقادي. يقول كذلك شاملو في هذه المناسبة: «مُحِيطٌ ذَاكُ / طَيْرَانٌ وَ دَوَامَةٌ وَ مَوْجَةٌ / جَبَلٌ هَذَا / دُونَ أَنْ يَذْرِي / جُزْئِيَّةً دُونَ... كِبْرِيَاءِ / لَيْسِيْحَكَ بِذَلِّ / وَ يَرْتَعِشُ مِنْ جَبْرِكَ وَ مِنْ سَطْوَتِكَ / وَ يَسْتَعْصِمُكَ غَرِيباً فِي ذَاتِهِ / لَيْكِي تَكُونَ أَنْتَ / الْكُلُّ...». اقيانوس است آن / ... / پرواز و گردابه و موج / كوه است اين / بی آنکه بداند / ذره ای بی شکوهی / تا تو را به خواری تسبیح گوید / از وحشت قهرت بر خود بلرزد / بیگانه از خود چنگ در تو زند / تا تو / کل باشی...! (شاملو، ١٣٨٩: ١٠٢٨). في الحقيقة تتألف بنية شاملو الفلسفية من ميله المبالغ في الفلسفة الغربية ولاسيما نزعة سارتر الوجودية. و من مكوناتها اصالة الانسان على الوجود الماورائي. و في الحالة هذه هو الذي يتحكم على الطبيعة و مسيطر عليها اطلاقاً. على هذا نجد في بعض الاحيان يجعل للانسان مكانة متعالية و مرموقة في بناء شعري بشكل عام.

ب: التزعة السياسية: بدأ شاملو نشاطاته السياسية عام ١٣٢١ عندما كان تلميذاً في المرحلة الإعدادية. ألقى في السجن بعد ذلك بقليل على أيدي المتفقين، فترك الدراسة مائلاً إلى السياسة. و أخذ يعمل في الصحافة عام ١٣٢٤ في مجلات متعددة منها مثلاً الأدبي و السياسي و الأدب العام «فولكلور». (اختياري، ١٣٨١: ١٩). وعلى ضوء الاتجاه السياسي نجد الشاعر يعتمد على الطبيعة في الكشف عن القضايا السياسية. فالطبيعة عنده رمز واستعارة بكل ما فيها من عناصر، للاستعمار، و الواقع المأساوي، و الظلم، و الفقر، و الفساد، و ما إلى ذلك. «فألليل» رمز للطبقة الجارية، و«البحر» للأمة، و«الشتاء» للظروف المأساوية التي يعيشها المجتمع و هكذا دواليك. يقول: كمايقول: «اللَّيْلُ قَدَّرْتُمْ / دَامِي النَّحْرُ / مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ / الْبَحْرُ / قَدَّرْتَهُدًا غَيْرَ أَبِيهِ / غُصْنٌ / فِي سَوَادِ الْغَابَةِ / إِلَى النَّوْرِ / يَصِيحُ...»: شب / با گلوی خونین / خوانده است دیرگاه / دریا / نشسته سرد / یک شاخه / در سیاهی جنگل / به سوی نور / فریاد می کشد...! فيبدو جلياً أن الشاعر قد استطاع جيداً أن يخلق جواً عاطفياً عالياً، بالاعتماد على آليات تصويرية كالاستعاره و الرمز. و لكن هذه الآليات لم تستخدم جمالياً اطلاقاً. بل و فيها نوع من الوظيفة السياسية التي هي المراد عند الشاعر. فالمقطع في معناه القاموسي يدل على فضاء طبيعي ميت، ذلك أن الليل نحره دام والبحر قدهداً. و الغابة قد حن عليها الليل لكن إذا اعتمدنا على البعد الاستعاري منه يتبين أن

الشاعر يريد من المقطع وظيفة سياسية. «فأليل» استعارة عن الحكومة الجابرة قد عرضت الناس لسوء المعاملة من أمد بعيد. و «البحر» استعارة عن الناس الذين ناموا عن الظروف القاسية، غير آبهين بما إطلاقاً. «الغصن» استعارة من الشاعر الذي أخذ بيديه شمع القلم بحثاً عن الطريق إلى الأمل (يورنامديان، ١٣٨١: ٢٤٧-٢٤٨).

ج: النزعة الواقعية: تتجلى الفكرة هذه عند الشاعر في ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتبدلات سياسية واجتماعية صعبة أو بل ما يتعلّق بالإنسان إطلاقاً؛ من الحرية، و الكرامة، و الشرافة، و الكبرياء. يبدو الشاعر في أشعار عامةً ناقداً سياسياً و اجتماعياً، يميل في فكرته إلى الواقع في المجتمع، معبراً عنه بتعبير من اصطدم بالسياق الاجتماعي و السياسي. تتمحور واقعية شاملو حول «الإنسان» و هو يقول: «...و كَسْرَعَةَ تَفْجِيرِ الدَّمِ فِي النَّبْضِ / يَتَقَدَّمُ / وَيَتَمَشَّى عَلَى التَّارِيخِ... / وَعَلَى إِيْرَانِ وَالْإِغْرِيقِ... / الإِنْسَانُ الإِنْسَانُ... / الإِنْسَانُ الإِنْسَانُ... الإِنْسَانُ فِي شَرَايِيْنِ التَّارِيخِ... / الإِنْسَانُ الإِنْسَانُ الإِنْسَانُ الإِنْسَانُ... الإِنْسَانُ»: و به سرعت انفجارخون در نبض/گام بر می دارد / و راه می رود بر تاریخ/ بر ایران و یونان... / انسان انسان انسان انسان...انسان/ در رگك تاریخ.../ انسان انسان انسان انسان...انسان. (شاملو، ١٣٨٩: ٦٣). في الواقع تمتاز تجربة شاملو لواقعية الشعرية بالكشف عن الإنسان ومقوماته كالحرية والكبرياء بموقف موضوعي- انتقادي لا يشوبه غرض شخصي بتاتاً.

٢-٣. مقارنة الشعاعين عاطفياً

لوعنا النظر في تجربة الشعاعين الشعرية لا تضح لنا أنه تمتاز عاطفتهاما بالجيشان أمام كل ما تواجهه في المجتمع من ضعف فكري في البناء الجماعي أو السياسي. على هذا فإن العاطفة قد جعلت أدهما عامة وشعرهما خاصة، تمتاز بجودة السبك ورقة المعنى. لكن مقابل هذا الاتفاق هناك نوع من الخلاف المحوري في اتجاههما العاطفي؛ في أن الماغوط تنبعث عاطفته من الأسرة فتجذب في المجتمع وأحيراً تتزع نزعة انعدامية. فذلك يرى الشاعر جو الحياة قائماً مظلماً. يقول في هذا السياق: «الإِسْمُ: مُحَمَّدٌ أَوْ عَيْسَى أَوْ مُوسَى... / الطُّولُ: حَسَبَ الْجِهَةِ أَلْبِي أَقْفُ أَمَامَهَا فِي... تِلْكَ اللَّحْظَةَ / الْجِنْسُ: حَسَبَ فِرَاسَةِ الْمُخْتَارِ وَأَمِينِ السَّجِلِ الْمَدَنِيِّ / الهَوَايَةُ: التَّنَاوُبُ / الْحَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ: مُتَزَوِّجٌ أَوْ مُتَاهِلٌ مِنَ الْقَضِيَّةِ / النَّابِغِيَّةُ: جُمهُورِيَّةُ أَفْلَاطُونِ الشُّعْبِيَّةِ الدِّيْمَقْرَاطِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ جُمهُورِيَّةِ فَرِحَاتِ لِيُوسُفِ إِدْرِيسُ / مَكَانُ الْإِقَامَةِ: أَي رَصِيْفٌ أَوْ حَاوِيَةٌ عَلَيْهِ / السَّنُّ: مُحَيَّرٌ / الْعُنْوَانُ الْإِلِكْتُرُونِي: شَرْقٌ عَدَنٌ غَرْبٌ اللهُ» (الماغوط، ٢٠٠٦: ٢٤٥-٢٤٦). واضح هنا أن الشاعر قد أصيب بنوع من الإزدواجية الرؤيوية. لقد فقد الشاعر جميع ما يكون في الإنسان العادي كالحب والأمل والفرح وغيرها. العنوان الإلكتروني هو الذي قد نتج عن نزعة الشاعر الحلامية. و بشكل عام إن اتجاه الشاعر العاطفي ينتهي إلى العدمية العاطفية، إلا أنه لو أمعنا قد يطبع شعره بطابع لا يخلو منه بصيص أمل بالحياة. لكن العاطفة في تجربة شاملو و على امتيازها بزعة سوداوية في معظم الاحيان تمتاز بنوع من الاعتدال بالقياس إلى الماغوط. فهو يري الافق جميلاً و لا ينتهي من اللأمل إلى السوداية المطلقة التي وجدناها في تجربة الماغوط. يقول في هذا السياق: «/ يَوْمًا مَا أَقَلُّ أَنْشُودَةً / هُوَ الْقَبْلَةُ / وَ كُلُّ إِنْسَانٍ / لِكُلِّ إِنْسَانٍ / أَحْ... / يَوْمًا مَا مَعْنَى كُلِّ حَرْفٍ هُوَ الْحُبُّ / يَوْمًا كُلُّ شَفَقَةٍ اغْنِيَةٌ / يَوْمًا تَأْتِي أَنْتِ / تَأْتِي لِلأَبَدِ: روزی که کمترین سرود / بوسه است / و هر انسان / برای هر انسان / برادری است... / روزی که معنای هر سخن دوست داشتن است / ... / روزی که هر لب ترانه است... / روزی که تو بیایی؛ برای همیشه بیایی..! (شاملو، ١٣٨٩: ٢٠٧-٢٠٨). صحيح، ان القوة العاطفية بين الشعاعين تأتي من ارضية سياسية-اجتماعية مشتركة، و هي تتجلى

في أنّهما من شعراء الشّرق من جهة و من الشعراء الذين يميلون ميلاً يسارياً في البعد السّياسي من جهة أخرى، إلاّ أنّه هناك فارق بعيد بين نزعتهم العاطفية؛ في أنّ الماغوط يتأثر بعده العاطفي من التقصّ البيئي والاسريّ من جانب و نزعة الشّاعر التمرديّة من جانب آخر. فهذا التّوافق تنتهي بالشّاعر إلى ان يجتاز سلام العاطفة السّلبية و من ثمّ العاطفة السّلبية المطلقة التي نلاحظه في قصيدته المعنون «الهوية اللاكترونية». الفارق يأتي من أنّ شاملو و على الرّغم من وجود مشاكل أسريّة و اجتماعيّة و سياسيّة لكنّها لم تحل دون اهتمامه بقضايا حياته. فنجدّه، في مواجهته للعواطف السّلبية يحاول طريق خلاص من العوائق النفسيّة النّاتجة عن المجتمع و ظروفه الشخصية. فيري أنّ يوماً يأتي و تنحلّ المشاكل و الازمات الاجتماعيّة و الاخلاقيّة و ما اليها.

٢-٤. مقارنة الشّاعرين فكراً

في هذا المجال نجد الشّاعرين متّفقين في بعض التّزعات الفكرية لاسيما أنّهما قد حرّبا السّحن في جوّ اجتماعي و سياسي قائم. فنجدهما يميلان إلى نزعة سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية و ما إلى ذلك. فيما يتعلّق بالماغوط يمكن القول بأنّه — على الرّغم من استخدامه الكثير للشخصيات العلمية الكبيرة — يتمرّد على البناء الفكريّ معتمداً على قاعدة فكرية شخصية لا تتجاوز عنه نفسه بتاتاً. و صحيح أنّ هذا التمرّد يريد من خلاله إعادة البناء، لكنّه لا يتصل ببناء فكريّ تترتب عليه جذور و أبعاد فكريه معيّن. بل هو على نوع من العصبيّة بالنّسبة لهذا الموضوع و تطبع فكرته بطابع رفضي من كلامه في هذا السّياق: «ما ذا جنّي الشكسيب من مسرّحياته / و غوته من سلطانه / و شابلن من سُخريته / و نيشة من فلسفته... و ماري أنطوانت من عشاقها / غير السّل و الصرّع و الجنون و الصّباغ...» (الماغوط، ٢٠٠٦: ١٠٤). فالفكرة عند الماغوط تمتاز بنوع من الفوضى والانسجام في بنائها الوجودي. هو يميل بطبيعة الامر إلى هدم كل بناء فكريّ قد تكوّن في التاريخ فيدمر بناء نيتشه الفلسفيّ تدميراً. و كما أنّه ينظر إلى المجتمع و ما فيه من بعد اخلاقيّ و ثقافيّ و فرديّ بطابع سلبيّ، فهو ينظر إلى نفسه هو ايضاً بطابع سلبيّ و هذا يتجلّى بامتياز في قصيدته المعنون «الهوية اللاكترونية». فعلى الرّغم من أنّه يسعى ان يظهر في أشعاره معلماً حنوناً للمجتمع، لكنّه لا يغفل في تصويره للبناء الاجتماعيّ. فيحدّثنا عن الاوضاع السّياسيّة و الاقتصاديّة و الاخلاقيّة السيئة التي سيطرت على البليدان العربيّة نتيجة سياسة الغرب القمعيّة. ربّما لو أمعنا التّظر إلى تجربة الشّاعرين الشعريّة نجد نوعاً من الاشتراك في مسارهما الفكريّ؛ لكن هذا لا يعني أنّهما في اتفاق مطلق بالنّسبة إلى بعدهما الفكري. و صحيح أنّ كليهما يبدو في أشعارهما كالتّاقّد الذي يكشف لنا عن حقيقة البناء الاجتماعيّ و السياسيّ و الاقتصاديّ، لكنّه هناك مفارقة كبيرة بينهما في اتّجاههما الفكريّ الفرديّ. فاتّجاه الماغوط الفكريّ الغالب كان في ميله إلى السّياسة و ما فيها من الاثبات كالعادلة و الديمقراطيّة و النزعة الاخلاقيّة في البناء السياسيّ. لكن شاملو في اتّجاهه الفكريّ — وفضلاً عن عنايته بالقضايا الاجتماعيّة و السّياسيّة و الثقافيّة — كان مائلاً إلى نزعة فلسفيّة مستقاة من الفلسفة الارويّة كترعة ماركس الماديّة و سارتر الوجوديّة و ما إلى ذلك. يقول سارتر: «[الإنسان] الموجد في ذاته» (رجب محمود، ١٩٦٧: ٢٢). و يقول «ماركس» ايضاً: «إنّ الألوهية من الأعراس الإنسانيّة الذاتيّة، أي الله مخلوق الإنسان» (اسلامي، ١٣٨٧: ٢٣٥). و في هذا السّياق يقول شاملو: «ثمّ حوّل {الإنسان} / صورة التراب / و جعل التهرّ و البحر بخنّامه مؤسومين بالرّقة / و بأية صورة / تُصارع مع قلب التراب ظافراً / و خلق الأرض بأيديه تماماً / و الله كذلك بأيديه / مع التراب، و الخشب و الجلود / و بدأت الكارثة / و فوض الله بفكرته [وهو مخلوق أيديه السّاحرة...]. بتفّسه و...! پس -إنسان- صورت خاك را / بگردانيد / و رود و دریا را

به مهر خویش داغ بر نهاد به غلامی / و به هرجای، با نهاد خاک پنجه در پنجه کرد به ظفر / و زمین را یکسره باز آفرید به دستان / و خدای را / هم به دستان / با خاک و چوب و به فرسنگ / و تباهی آغاز یافت / پس خدای را که آفریده دستان معجزه گراو بود با اندیشهی خویش وانهاد /! (شاملو، ۱۳۸۹: ۳۰).

النتیجة

على ضوء ما سبق من الحديث عن الشاعرين وإبداعهما الأدبي و كذلك نظراً لما وصلنا اليه في هذه الدراسة، من الممكن تلخيص النتيجة ضمن محورين اساسيين:

١. البعد النظري: يعتبر الادب المقارن من الآليات الهامة المعاصرة التي لعبت دوراً هاماً في دراسة التصوص الادبية. من هذه الرواية يمكن ان تناول انتاج الشعراء الادبي بالدراسة وصولاً إلى بعد فكري-عاطفي معين. كما أنه يمكن أيضاً ان نتوصل به إلى وجوه الاشتراك و الافتراق بين الشعراء و الادباء على ممر العصور. لقد أثر الادب المقارن بحضوره في الحقل الادبي على توجيه التقدي ايضا. و ذلك يأتي من خلال إلقاء الضوء على الادب العالمي. فهذا الامر يجعلنا نحكم بالجزم على أنه هناك ذهنية مشتركة تنطلق منها الآثار الادبية. مقارنة كل اثر ادبي تشعرنا بأنه هناك نوع من الافتراق و الاشتراك بين هذه الآثار و لا بد لها ان تخضع للتقدي الادبي.

٢. البعد التطبيقي: يعتبر محمد الماغوط و احمد شاملو من رواد قصيدة النثر و قد كان لهما دور بارز في توجيه المسار الادبي. بما أنهما قد عاشا في عصر اشتبكت المعاهدات السياسية كـ«بالفور» و «سايكس بيكو» فيعتبر انتاجهما الادبي احتجاج ضد القواعد السياسية التي فرضت لبلادهما. و بموجب هذه التغيرات السياسية نجد الشاعرين - وعلى الرغم من نزعتهم اليسارية في السياسة- يظهران كشاعر- معلم يريد تربية أبناء شعبه و توجيه السياسة نحو المطلوب من خلال انتاجه الادبي. كما أنهما قد يظهران ناقدين يعبران بالفضاء السياسي عن مجهر نقدهما، محاولين الكشف عن قناع الحقيقة السياسية و الاجتماعية، بنقد واقعي- بناء، وعلى الرغم من اتفاق الشاعرين الاتجاهاي لكنه هناك بون شاسع في جوهرهما الفكري و العاطفي؛ في ان الماغوط يتمرد على القوالب الفكرية و العاطفية إطلاقاً. لذلك ينتهي إلى أزمة الهوية في ذروة نصه الشعري. حيث تمتاز طبيعته بالرّفص و التمرد على الاطلاق. الا ان شاملو له سياق فكري-عاطفي معين و اذا لم يكن قادراً تماماً على الخلاص من جوّه العاطفي المأساوي، لكنّه لا يتجاوز قواعد الفكرة و العاطفة بتاتا. فيحاول استيعاب الحقيقة عن طريق الرّفص و القبول. وعلى جدلية العاطفة و الفكرة يمكن القول بأنهما نتيجة جدلية سياسية-اجتماعية تحمّلتها بلاد الشاعرين في وضعيتها السياسية. فتزعة الشاعرين إلى العواطف السلبية كالـ«غضب» و «اللامل»... ما هي الا نتيجة الوضعية الاجتماعية التي يعيشها الشاعران. و الخلاصة هي ان العاطفة و الفكرة و عناصر الادب الاخرى لها صراع دائم بالبيئة التي يعيشها الشاعر و لا يتخلّى عنه الشاعران الكبران أمثال الماغوط و شاملو في بناء نصّهما الشعريّ و قوتّهما الابدائية.

المصادر

الف: الكتب

١. شاکر عبد الحمید (٢٠٠٣)؛ الفكاهة و الضحك رؤية جديدة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة مطابع

السياسة.

٢. كشيّشان، الكساندر (٢٠٠٨)؛ تاريخ سوريا الطّبيعي الاقتصادي السّياسي، الطّبعة الاولى، حلب: دار التّهضة.
٣. الماغوط، محمّد (٢٠٠٦)؛ الآثار الكاملة، دمشق: دار المدى.
٤. ----- (٢٠٠٦)؛ الفرّح ليسس مهنتي، دمشق: دار المدى.
٥. ----- (٢٠٠٦)؛ حزن في ضوء القمر، دمشق: دار المدى.
٦. ----- (٢٠٠٢)؛ اغتصاب كان و اخواتها، حوارات حرّرها خليل صويلح: الطّبعة الاولى، دار البلد.
٧. ----- (٢٠٠٦)؛ شرق عدن غرب...، دمشق: دار المدى.
٨. اليسوعي كامبل (١٩٩٦)؛ أعلام الادب العربي المعاصر الطّبعة الاولى بيروت الشركة المتحددة للتّوزيع.
٩. احمدى، بايك (١٣٨٤)؛ سارتر كه مي نوشت، تهران: مركز.
١٠. اختياري بھروز، حميد باقرزاده (١٣٨١)؛ شاملو شاعر شبانهها وعاشقانهها، تهران: هيرمند.
١١. پل سارتر (١٣٤٤)؛ اگريستانسياليسم واصالت بشر، ترجمه مصطفى رحيمي چاپ اول، تهران: مرواريد.
١٢. پورنامدريان، تقى (١٣٨١)؛ سفردر مه، تهران: نگاه.
١٣. شاملو، احمد (١٣٨٩)؛ آيدا در آينه، چاپ نهم، تهران: نگاه و yasbook.com
١٤. ---- آيدا (١٣٨٩)؛ درخت، خنجر و خاطره، چاپ نهم، تهران: نگاه.
١٥. ---- (١٣٨٩)؛ هواى تازه، چاپ نهم، تهران: نگاه.
١٦. ---- (١٣٨٩)؛ مدايح بي صلّه، چاپ نهم، تهران: نگاه.
١٧. ---- (١٣٨١)؛ حديث بيقراى ماهان، تهران: نگاه.
١٨. ---- (١٣٨١)؛ باغ آينه، تهران: نگاه.
١٩. شميسا، سيروس، (١٣٩٠)؛ راهنماى ادبيات معاصر، چاپ دوم، تهران: ميترا.

ب: المجالات

٢٠. أحمد فضل، محمد (١٩٧٧)؛ «علم النفس و الأدب»، نشرية ادبيات و زبانهما، العدد ١٤، صص ٦٣-٦٤.
٢١. حجّو، فواز (٢٠٠٧)؛ «صورة الماغوط في شعره»، مجلّة الموقف الأدبي، العدد ٤٣٣، صص ١٢-١٤.
٢٢. الخليل، أبوالمكارم (١٣٥٣)؛ «الفكرة والعادة»، نشرية تربيتي، التعليم الالزامي. العدد ٦، صص ٢٣-٢٤.
٢٣. الراكشي، عمر «مايجب أن يعرفه المسلمون عن ماركس»، نشرية فلسفه وكلام وعرفان، التفكير الاسلامي، ذوالحجّه ١٤٠، العدد ١٩٢، صص ٤٣-٤٧.
٢٤. عبدالحميد، حسن (١٩٤٣)؛ «العاطفة و ارتباطها بالادب»، نشرية صحيفة دارالعلوم، العدد ٣، صص ٢٠-٢٦.

٢٥. محمود، رجب (١٩٦٧)؛ «مصطلحات سارتر الفلسفية»، نشرية الفكر المعاصر، العدد ٢٥، صص ٢٠-٢٣.
٢٦. اسلامي، حسن (١٣٨٧)؛ «رهيافت دين شناختي مارکس»، نشریه فلسفه و کلام و عرفان، «هفت آسمان» شماره ٣٨، صص ٢١١-٢٤٢.
٢٧. اکبری بیرق، حسن (١٣٩١)؛ «بررسی شعر و اندیشه‌ی تی.اس.لیوت. و احمد شاملو بر اساس مؤلفه‌های مدرنیته»، نشریه جستارهای زبانی، شماره ١٢، صص ٤٣-٦٦.
٢٨. براهنی، رضا (١٣٨٤)؛ «گفتمان دوسویگی در اشعار شاملو»، نشریه گوهران، شماره ١٠ و ٩، صص ٣٦-٦٦.
٢٩. پروینی، خلیل (١٣٩١)؛ «حایگاه ادبیات در آثار امام صادق (ع)»، فصلنامه علمی - تخصصی دانشگاه علامه طباطبائی، شماره سوم، صص ١-٢٤.
٣٠. حکمت، شاهرخ (١٣٩٠)؛ «انسان باوری و برخی از کارکردهای آن در شعر احمد شاملو»، نشریه ادبیات و زیباها عرفانیات در ادب فارسی، سال دوم، شماره ٨، صص ١٢١-١٤٠.
٣١. فتوحی، محمود (١٣٨٠)؛ «تعریف ادبیات»، نشریه زبان و ادبیات فارسی، شماره ٣٢، صص ١٧١-٢٩٦.
٣٢. فتوحی، محمود، عاطفه، نگرش (١٣٨٣)؛ «تصویر»، نشریه زبان و ادبیات مطالعات تحقیقات ادبی، شماره ٢١، صص ٩٣-١١٢.
٣٣. قادری، فاطمه (١٣٨٨)؛ «زمینه اجتماعی اشعار شاملو و ماغوط»، نشریه ادبیات تطبیقی، دانشگاه شهید باهنر کرمان، شماره ١، صص ١٠٩-١٣٢.
٣٤. کدکنی، شفیعی (١٣٨٨)؛ «ادبیات و جلوه‌های ور خیال در شعر سیمین بهبهانی»، مجله دانشکده علوم انسانی سمنان، شماره ٢٨، صص ١٠٧-١٢٠.
٣٥. میرزایی، محمد (١٣٨٨)؛ «نامیدی‌های اخوان ثالث»، نشریه حافظ، شماره ٦٣، صص ١٨-٢٧.
٣٦. نظری منظم، هادی (١٣٨٩)؛ «ادبیات تطبیقی تعریف و زمینه‌های پژوهش»، نشریه ادبیات تطبیقی، دانشگاه شهید باهنر کرمان، شماره ٢، صص ٢٢١-٢٣٨.

کاوش نامه ادبیات تطبیقی (مطالعات تطبیقی عربی - فارسی)

دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه رازی کرمانشاه

سال چهارم، شماره ۱۶، زمستان ۱۳۹۳ هـ ش / ۱۴۳۶ هـ ق / ۲۰۱۵ م

بررسی دیالکتیک اندیشه و احساس در

شعر محمد ماغوط و احمد شاملو^۱

مهدی خرمی^۲

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه حکیم سبزواری، ایران

مهدی نودهی^۳

دانشجوی دوره دکتری دانشگاه حکیم سبزواری، ایران

چکیده

محمد الماغوط چکامه سرا، نویسنده و نمایش نامه نویس مشهور سوری است که از پیشگامان شعر سپید محسوب می شود، او تأثیر بسزایی در تکامل ادبیات عرب و به ویژه در ادبیات سوریه داشت. این امر برابندی است از عصیان و سرکشی وی بر فرم و قالب کلاسیکی شعر و نتیجه رسیدن به یک فرم شعری که با ذهن انسان معاصر همخوانی دارد. همتای او در زبان فارسی احمد شاملو است که از شاعران معاصر و پیشگامان شعر سپید محسوب می شود. او در زمینه های گوناگون ادبی چون چکامه، روزنامه، نمایش نامه، سریال های تلویزیونی و دیگر زمینه ها فعالیت داشته است و با اختلافی اندکی نسبت به ماغوط توانست گونه ای ادبی بیافریند. این مقاله بر آن است تا در چارچوب نظری و با تکیه بر تکنیک های ادبیات تطبیقی تجربه ی عریان هنری دو شاعر را برای خواننده روشن سازد. لذا از یک سو به خواننده اندیشه ای ارائه می دهد که بواسطه آن بر سازه های ادبی و بویژه عاطفه و اندیشه و قوف یابد و از دیگر سو به دیالکتیک عاطفه و اندیشه سایه می افکند تا بُرد تأثر عاطفی دو شاعر را در تولید ادبیشان واکاوی کند. رویکرد پژوهشی در این تحقیق بر مکتب امریکائی تمرکز دارد که از رابطه ی «تأثیر و تأثر» و «اختلاف زبانی» فراتر می رود.

واژگان کلیدی: ادبیات تطبیقی، محمد الماغوط، احمد شاملو، عاطفه، تفکر.

پروژه گاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

رتال جامع علوم انسانی

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۳/۱۲/۵

^۱ - تاریخ دریافت: ۱۳۹۳/۹/۲۷

^۲ - رایانامه نویسنده مسئول: khorrami.dr@gmail.

^۳ - رایانامه: mehdinowdehi@Gmail.com